

مسألة عدم التثبت من مرويات القصاص

..... وأما القصص التي ذكرت عنه فيما ورد في مبدأ أمره فتلك يغلب أنها من مقالات القصاص التي يذكرونها في قصصهم، والغالب أنها ليست ثابتة. وذلك لأن هناك قصاص؛ يعني وعاظ يذكرون قصصا طويلة، والغالب أنهم يصورونها أو يتخيلون شيئا فيجعلون له صورة ويجعلون له مثلا، ثم يسردون قصة طويلة؛ بحيث أن الناس يصغون إليها ويتعجبون منها، وهي خيالية ليست صحيحة؛ ولأجل ذلك كانوا يقولون هذه من أحاديث القصاص؛ أي من قصص الوعاظ الذين يقفون في المجتمعات يعني في المساجد أو في الأسواق التي يجتمع الناس فيها، فيتكلم أحدهم إما ارتجالا من حفظه وإما يكتب قصة في ورقة، ثم بعد ذلك يتكلم؛ يقرأها ويخشع الناس ويطنون أنها واقعية وأنها قصة حقيقية. ثم أكثر هذه الروايات التي سمعنا من قصص الإسرائيليات التي ينقلها بعض من أسلم من أهل الكتاب من اليهود، ينقلونها عن كتب بني إسرائيل؛ أمثال كعب الأبحار ووهب بن منبه وغيرهم، وكان الصحابة والتابعون ينقون بهم؛ وذلك لأنهم من المسلمين الذين تركوا ديانات قومهم كاليهودية ودخلوا في الإسلام طوعا بدون اختيار، وكان عندهم مؤلفات وكتب قديمة من كتب أخبار اليهود ورهبان النصارى ولكنها ليست موثوقة. بل الغالب أنها محرفة، أو أن أكثر ما فيها ليس بصحيح، وإنما هو من افتراء أولئك الأبحار ونحوهم وزياداتهم كتبوها كنسلية لمن يقرأها، فكان هؤلاء الذين منهم هؤلاء الأبحار يقرءونها على المسلمين قراءة مطولة، ومنهم من يكتبها على أنها موثوق بها ومنهم من يحفظها، ذكروا مثل ذلك كثيرا، المحققون يعرضون عنها، ولكن الكثير من المفسرين يصدقون بها ويقصونها. وقد أكثر منها المفسر المشهور ابن جرير في تفسيره، وكذلك البغوي صاحب التفسير، وكذلك الثعلبي في تفسير له أيضا، وغيرهم من الذين يأخذون ما وجدوا، فيذكرون منها كثيرا في هذه القصة التي هي قصة ذي القرنين . وكذلك في قصة أصحاب الكهف، فقد أوردوا فيهم قصصا طويلة قد تبلغ عشر صفحات أو أكثر، وكذلك قصة هاروت وماروت ذكروا أيضا فيها كثيرا من الإسرائيليات، وكذلك قصة طالوت وجالوت وقاتل طالوت لجالوت وقتل داود له قصة أجملت في القرآن، وفيما ذكر في القرآن وضوح. ثم جاء هؤلاء الذين ينقلون عن كتب بني إسرائيل، فأوغلوا في ذكر القصة وتوسعوا فيها مما إذا سمعه العاقل يعرف أنه لا حقيقة له، وأنه من جملة أساطير الأولين التي يسطرونها، ثم يأتي من بعدهم ويطن أنها حق وأنها واقعية فيصدق بها، وكذلك أيضا في قصص الأنبياء كقصة نوح وقصة عاد وقصة إبراهيم . وهكذا أيضا كثير منها قد يكون غير ثابت، قد يكون فيه طعن في الأنبياء؛ طعنوا في قصة داود والذين دخلوا عليه، وقالوا، أو قال بعضهم لبعض { قَا حُكْمُ بَيْتِنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ } .